الصابئة او المندائية

بقلم الاب الفاضل والباحث المدقق انستاس الكرملي البغدادي

(تابع لما سبق)

(اسمهم) وللصابئة اسم آخر وهو «نصورايا» قال المتطف عن معناها: (٢٣: ١٠) اما اسمهم نصوراتي (كذا. والاصح نصورايي او نصوراني او ناصورايا على سبيل الحكاية) فتحريف كلمة نصارى او نساطرة (كذا) نسبةً الى طائفة النساطرة التي كانت في سورية منذ عهد طويل» اه. وعندنا انها مشتقة من فعل: «نؤ» ومعناه في لغتهم: «رتم ودتل فه وسبحه ومجده» وذلك لانَّ الصابئة يكثرون في النهار الواحد من نوع من الاصطباغ يسمونه بلسانهم «الرشم» ويقابله عند العرب «الوضوء» وهو الاغتسال عند حدوث جنابة اياً كانت. وكما انَّ هذا الرشم لا يتمّ الَّا بتلاوة الصلوات فعليه اصبح معنى «نصورايا» المصلون والمسبحون والمتعبدون ونحو ذلك. ثمَّ توسَّعوا فيها فاصبح معناها اليوم: «الصالح» مطلقاً من كلّ ملة ونحلة. واذا ارادوا أن يقولوا: «هذا رجلٌ صالح» عبَّروا بلسانهم على هذا الوجه «ها زين كورا ناصورايا» غير انهم في اغلب الاحايين يحصرون معنى هذه اللفظة بطائفة خدمة الدين او الاكليروس. او كما يقول العرب «العلماء». وسبب تقييدهم لهذا المعنى هو ان خدمة الدين عندهم يصلُون اكثر بكثير من عامتهم فحقَّ لهم هذا الاسم

ومن هذا كلّه تستنتج ان الذين يقولون ان «النصورايا» هو اسم يُطلق على جميع المندائيين «حالًا او في هذه الايام» هم في وَهم ظاهر. بخلاف ما لو قالوا ان ذلك هو اسمهم عند الاقدمين فحينئذٍ لا لوم عليهم ولا تثريب ولا هم يحزنون عند التحقيق والتنقيب. — ومن اسمائهم القديمة ما ذكرها العلامة المؤرخ ثيودور برخوني صاحب «كتاب الاسكوليون» واليك معرَّب كلامه قال: «واسمهم (اي اسم اتباع آدا وهم المندائيون كما رأيت) في ميسان (قلتُ: ميسان كورة معروفة من كُوَر دجلة بسواد العراق بين البصرة وواسط. عن التاج) المندائيون والمشكنيُّون (هذه اللفظة الاخيرة منسوبة الى المشكنة وهي بلسانهم الفصيح الكنيسةُ والبيعة والمصلَّى. اما بلغتهم العامية

تسمّى البيعة « مَندي ») اصحاب من يأتي القُربات . واسمهم في بيت ارمايي (اي في سواد العراق) ناصورايي اصحاب دُستاني . امّا الاسم الذي يليق بهم فهو الآدَويون . وقد اخذوا مذهبهم عن المرقيونيين والمانويين والكَنتيين (١

(ذكر الصابئة في التأريخ) لا نرى للصابئة ذكرًا صريحًا في كتاب الله . وكل مرّة اراد التنزيل ان يذكرهم نوّه بعبادتهم . قال عزّ من قائل في تثنية الاشتراع يُذكّر اسرائيل بحفظ العهد ويزجرهُ عن عبادة الاوثان ثم ينعيهِ بعد ذلك عن الصابئة او عبادة النيّرات ما نصُّهُ : « . . . وكيلا ترفع طرفك الى السماء فتنظر الشمس والقمر والكواكب فتجتذب وتسجد لها وتعبدها » (التثنية ٤ : ١٩) ويقرب من لفظ الصابئين حرف « السَبئيين » في اصل الاشتقاق الّا ان هؤلاء قومٌ آخرون وقد جاء ذكرهم في نبوّة اشعيا (٤٣ : ٣ ثم ٤٥ : ١٤) وفي الزبور (٥٢ : ١٠) الخ (٢

(١ Vid. Pognon.-Insc. mand. des Coupes de Khouabir, p. 154 et 224

٢) والافرنج يسمّون الصابئين والسبئيين بلفظ واحد Sabéens وكلاهما « عندم » مشتق من « سبأ » فاذا ارادوا بلفظ Sabéens سكان مدينة سبأ او مأرب كان لهم ذلك جائزًا من باب النسبة عندم . وان ارادوا بذلك ايضًا الصابئة او المندائية جاز لهم هذا ايضًا وسبب هذا التجوّز هو ان الديانة التي كانت متغلبة في قديم الزمان في سبأ هي الصابئية او عبادة الكواكب والنيّرات فحقّ لهم وجه هذه النسبة لان العادة في نسبة الاديان نسبتها الى اصحابها الذين انشأوها فنقول مثلًا : الموسويّة والمسيحيّة . لكن اذا جُهل صاحبها فحينئذٍ تُنسب الى البلد التي تُوجد فيها او وُجدت او نشأت . فيقول العرب مثلًا : « الحرّانيّة » لفرقة من الصابئة نشأت في بلدة حرّان . لكن لمّا لم يُعرف صاحبها سمّوها باسم البلدة التي وُجدت فيها . وعليهِ فني قولك « الحرّانية » اشارة الى ديانة ساكني مدينة حرّان . ومن ثمّ تقول الشيخ ابراهيم اليازجي في البيان (حاشية ص ٩٩) . وزعم ليتراي انهم سُمّوا كذلك نسبةً الى سبأ وهي مدينة مارب باليمن وانما اختلط عليهِ لفظ الصابئين بالسبئيين . . . وشتّان بين لفظين » هو وَهْم الى التصريح بهِ . لانهُ قد تحتمل اللفظة الواحدة وجهين من التأويل بدون ان يكون شطط في ذلك . على ان الافرنج تركوا اليوم لفظة Sabéens بمعنى الصابئة مستعملين عوضها لفظة المندائيين Mandéens رفعًا للّبس . ثم تريد الشيخ علمًا ان العرب قد نسبوا الى المدينة ايضًا بعض الاديان وان عُرف صاحبها وذلك لاشتهاره باسم مدينتهِ كما جاء من هذا القبيل لفظة « النصرانيّة » فانها منسوبة الى الناصرة بزيادة الالف والنون قبل الياء (على الطريقة الآرامية) كما قالوا : « روسانيّ وربّانيّ وجبرانيّ وصنعانيّ وروحانيّ في النسبة الى روح وجبراء وصنعاء وروحاء (القواعد الجليّة ١ : ١٠١) غير انهم لمّا قالوا ناصرانيّ حذفوا الالف الاولى للتخفيف . امّا رأي بعض النحاة واللغويين في وضع هذه اللفظة واصل نسبتها فممّا لا يكترث بهِ لوهنهِ

اما القرآن فقد ذكر الصابئة ذكرًا صريحًا. من ذلك ما جاء في سورة البقرة: « ان الذين آمنوا والذين هادُوا والنصارى والصابئين مَن آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلهم اجرُهم عند ربّهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ». وما جاء في سورة الحج: « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا. انّ الله يفصل بينهم يوم القيامة. ان الله على كل شيء شهيد ». وما جاء في سورة المائدة: « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون »

وسائل يسألنا هنا: هل الصابئون الذين ذكرهم القرآن في عداد اهل الكتاب هم نفس الصابئين الذين يدور الكلام عليهم في هذه النبذة؟ — قلنا: قد انكر قومٌ كون الصابئة الحالين هم نفس صابئة القرآن غير ان نكيرهم لا يقوم على ساق صحيحة. اما كونهم هم بعينهم. فلنا على ذلك شواهد كثيرة منها: ١ً شهادة الصابئة نفوسهم. ٢ً ان العلماء المشهورين الذين نبغوا بين الصابئة في عصر العباسيين الزاهر مذكورة اسامیهم عندهم ويعظّمونهم ويؤكدون انهم من نحلتهم. ٣ً ان القرآن صرّح بكونهم من اهل الكتاب وكتابهم هذا هو المسمّى: « كنزا ربّا » او: « سدرا دآدم » اي الكتاب العظيم او سفر آدم او صُحُف آدم لانهم يزعمون ان الله انزلهُ على صدو آدم. ٤ً ان هذا السفر وان كان قد زيد عليه زيادات بعد القرن السابع للمسيح الّا ان معظمهُ من القرن الثاني والثالث للمسيح لادلّة لا محلّ لذكرها هنا. وعليه فلمّا ظهر الاسلام كان سفر آدم بين ايدي اصحابه. ولكونهم يدّعون بانهُ أنزل على آدم اعتبرهم صاحب الشريعة الاسلاميّة من اهل الكتاب. ٥ً يشهد على هذه الحقيقة الناصعة اهل التفسير. ولكي لا نُطيل الكلام على غير جدوى نستشهد بامام المفسّرين وشيخهم. قال في الكشّاف في تفسير آية سورة البقرة: « والصابئين وهو من صَبأ اذا خرج من الدين وهم قومٌ عدلوا عن دين اليهوديّة والنصرانيّة وعبدوا الملائكة » ففي قوله « عبدوا الملائكة » اشارة الى تعظيمهم الروحانيين الذين عندهم بمنزلة الملائكة. وكثيرًا ما يسمّونهم بالملائكة ايضًا الى يومنا هذا. وقال في تفسير آية سورة الحج: « جُعل الصابئون مع النصارى لانهم نوع منهم ». وقد اشار المفسّر بذلك الى ان الصابئة فرقة من النصارى قائمة بذاتها على ما مرّ بك انهم قد ادخلوا في معتقدهم شيئًا كثيرًا من

مذهب الأدريين الذين كانوا بدعةً هالكة من النصارى. واما ذكر الصابئة في سائر كُتب المؤرخين القدماء فهي كثيرة. وراجع بهذا الصدد اسطرابون: (Strabo XVI 768) وديدور (Diod. p. 3, 38, 46) وبلين (Plin. p. 6, 32)

(معتقدهم) لا يمكننا ان نأتي بذكر معتقد هذه النحلة بدون ان نذكر تمهيداً لها فذلكةً عن معتقد الأدريين الذين اخذ عنهم الصابئة كثيراً من آرائهم. فنقول:

تمتاز الأدرية بضلالين عظيمين هما بمنزلة ساقين يقف عليهما مذهبهم. فالضلال الاول: الثنوية اي القول بوجود كائنين ازليين متواجهين متضادين وهما صاحب الخير او النور وصاحب الشر او الظلمة. والضلال الثاني: الصدور وهو عبارة عن نشوء احد هذين الكائنين او كليهما على طريقة ينمو او ينموان فيها نمواً يترادف فيها الكائن بعد الكائن على آصالٍ من ابيهِ وهاتهِ الكائنات تُعرف باسم «الروحانيين» (éons) وكل مرةٍ يُدرك الكائن الاول الالهي نفسهُ بمعنى جديد كمفكر ومتكلم وحيّ او كحكيم وعادلٍ ومقترٍ وخالقٍ وقدير الخ ينقلب ذلك الفعل الالهي هُوِيَّةً جديدةً هي «الروحاني». وعلى رأي الادريين ان الروحانيّ الذي أُرسل لتنظيم الهيولى المتنفسة هو من الروحانيين الخاضعين لمن هم أعلى منهم واسمهُ عندهم «العامل» (démiurge). وهو على رأي فريق منهم مُعادٍ ابداً للكائن الأعلى. اما الذين اثبتوا خلق الكون فهم مدبّرو المتحيّرات السبع الذين دأبوا في عالمهم دون معرفة الله. فلما رأى تعالى ما حلّ بالعالم من الانقسام والتجزؤ وكلّ ادارتهُ الى الزوّاة ثم الى آخري الروحانيين ممّن هم قريبون من المادة الردية والمتنفسة قالوا مُلك العالم مكافأة عن دأبهم. اما تدبير العالم فكان نصيب «الحكمة» (Sophie) وهي روحانيّة انثى من الطبقة الاولى وآخر ثلاثين الروحاني الذين شملوا «ملء الوجود (Plérome) ما عدا اربعة منهم يُعرفون باسم «القلبية» (Coelibes) وهم: الحدّ (Horos) وروح القدس والمسيح ويسوع. وكانت «الحكمة» منافسةً للمعبود الاعلى ومن شدّة غيرتها ولدت ابنة اسمها «حكموت» (اي الحكم) وهذه الابنة وقعت على الهيولى فولدت منها ابناً اسمهُ «العامل» وهو الذي خلق العالم باسره إن كان هذا العالم عُلوياً وسماء المتخذين من المادّة اللطيفة. وإن كان عالماً سفلياً وارضاً المتخذين من المادة الخشنة. وان كان الانسان الذي هو مركّب من المادّتين اللطيفة والخشنة. وبعد هذا العمل ادّعى «العامل» لنفسهِ الاكرام الالهيّ. ولهذا بُعث المسيح رئيس الروحانيين

في نيَّـة ان يحارب « العامل » فجاء بصورة يهوديّ صالح كان قد بلغ من التقى الغاية القصوى وكان يُعرف باسم يسوع لكن ترك بعد ذلك شخصيَّة هـذا اليهودي الصالح وصعد الى السماء لان « العامل » كان قد اثار الناس عليهِ ليصلبوه. (انتهى ملخَّصاً عن دُرْباكر في كتابهِ تاريخ الكنيسة وفكر ونوريو »

اما مذهب الصابئة في هذا اليوم فيقرب كثيرًا من هذا المذهب. واليك ملخَّص ما قرأناهُ في كتبهم الدينيَّـة ثم تثبَّتناهُ من لسان شيوخهم: اول كائن وُجد من نفسهِ هو « مَلكا دَنْهورا » اي ملك النور (١ . وليس من موجود اعظم منـهُ ولا من كائن سبقهُ في الوجود. وهو من الروحانيين الذكور . وحالما وُجد وُجد معهُ ايضاً « سيات هيّي » اي خزانة الحياة. وهي من الروحانيين الاناث ومن اعظمهنّ شرفاً وقدرًا. و « لِملكا دَنْهورا » اسماء والقـاب شتى. منها « هيّي قدمايي » اي الحياة الاولى وهو الذي خلق عدة مساكن للروحانيين فجعل ٤٤٤ منها عن يمينـهِ و ٣٦٦ عن يسارهِ. ولم يعيّن لكلّ مسكن من هـذه المساكن الثا وثمانمائة الف الف من الروحانيين فقط بل اقام عليهم حارسَين عظيمين برأسائهم. — « وهيّي قدمايي » هو الذي عنَّد في نهر الحياة (أردْنا مَيّا حيّا » رسول الحياة « هيقل زيوا » واخويه « شيتل وانوش » ومعنى هذا التعميد انهُ كشف لهم اسم الحياة الاولى (هيّي قدمايي)

ومَلكا دَنْهورا يسكن عالماً نورانيًا يسمّونهُ « آلما دَنْهورا ». ولمَّا اراد الخلق صاتَ صوتًا فوُجد للحال « مَلكا مارا دْرَبوثا أليثا » (اي الملك صاحب العظمة العليَّة) ثمَّ صاح صيحةً ثانية فوُجد « مَندا دْهيّي » اي معرفة الحياة او رسول الحياة. وهذا نوَّه « بهيقل زيوا وشيتل وانوش أثرا ويوشامن دخيا وشبا ربا وأواثر راما » الخ الخ. والخلاصة ان الولادة في الروحانيين هي على طريقة النداء والدعاء. وكل روحاني يريد

---

١) ومن اسمائهِ ايضاً : « الحياة » (هيّي) وهو عندهم (تقول « وهو » بالتذكير لان المدلول عليهِ مذكَّر لا . وتُثنث فتتبع في ذلك المعنى لا اللفظة حاذين حذو الصابئة في هذا الصدد) في ثلاثة اقانيم وُجدوا معًا. وهذا ترتيبهم : « هيّي قدمايي وهيّي تِنْيايي وهيّي تِنْـايي » ومعنى ذلك الحياة الاولى والحياة الثانية والحياة الثالثة. لكلّ من هذه الاقانيم اسماء والقاب ونعوتٌ مختلفة. هذا واذا رأيت اسم الحياة وحدها في كتبهم واسفارهم الدينية فاعلم ان المراد بها هذه الاقانيم الثلاثة معًا. ولهذا لا تتعجب حينما ترى النعوت التي ترجع الى هذه اللفظة المفردة المؤنثة مجموعةً جمعاً مذكرًا. فاحفظ ذلك لانهُ مهمّ في بابهِ

خلق روحاني آخر يُناديه فيُخلق. وحينئذٍ يُعتبر بمنزلة ابن لمن ناداه. والروحانيون عديدون لا يكاد يُحصى عددهم. ويُقسمون الى مراتب مختلفة يُطلق عليهم اسم واحد وهو « آلي دَنهورا » او « إبني دَنهورا » اي خَلق النور او ابناء النور. وقد جاء في « الكنز ربّا » ما معناه: خلق النور خلقٌ في منتهى الكمال الذي يمكن لمثل هذا الخلق ان يكون فيه وهو منتشر في الرقيع والمساكن والانهار والاشجار. ومنهُ: « المتسامون (هم جنس من الروحانيين يُسمون بلسانهم أثري) والملرك (مَلكي) وفي جميعهم الضياء والنور والجمال والبهاء. اه. ومن طبقات الروحانيين: الطيور (بيري) والانواع (مَاني) وذوو الجلالة (إشخيناتي) والابواب (تيري) والعظماء (رُوربابي) والملائكة (ملاكي) والمساكن (مشكني) والانهار (يَوذني) والجداول (ارهاطي) الخ الخ. ومن هذا كله ترى انهم ليسوا متساوين بل البعض اعظم قدرًا من البعض الآخر وارفع جاهًا ودرجةً بحسب قدسهم ومرتبتهم التي يرجعون اليها. وعليهِ فاقسام الروحانيين عندهم تُشبهُ اقسام الملائكة عند النصارى من قوّات وعظمات وكراسي وكروبيين وسروفيّين وملائكة ورؤساء ملائكة الخ. ولكل روحاني من هذه المراتب وظيفة خصوصيّة يقوم بها صاحبها. وهم كلهم بمنزلة الوزراء والخدمة لتلكما دَنهورا يعظمونهُ ويسبحونهُ ويمجدونهُ. ومن ذلك ترى انهُ بمنزلة الإله الاعظم عندنا نحن النصارى (ستأتي البقيّة)

رسالة ابي نصر الفارابيّ في السياسة

تولّى نشرها الاب لويس شيخو اليسوعيّ (تتمّة لما سبق)

١ ـ ما ينبغي انْ يتصلهُ المرء مع رؤسائهِ

نبدأ بتعهُّد الرؤساء لما سنصفهُ فنقول: انَّ المرء مع من هو فوقهُ من الرؤساء لا يخلو من ان يكون متصدّيًا لخدمتهِ او يكون بينهُ وبين من هو فوقهُ حال يلقاهُ في بعض الاوقات او يكون بالبُعد منهُ لا يلقاهُ الّا بالذكر. فواجبٌ على المرء ان يستعمل مع من هو متصدٍّ لخدمتهِ ما نقولهُ وهو ان يكون ملازمًا(١ لما هو بصددهِ مواظبًا على ما

١) جاء في النسخة الواتيكانيّة: وهو ان يكون بينهُ وبينهُ اتصال وملازمة